لماذا تخاف النساء من التعدد؟

• بقلم: أروى الشجاع

مما لا شك فيه ، أن قضية تعدد الزوجات سنة مقطوع بها في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ بل إن الأصل في الزواج التعدد ، والتفرد بزوجة واحدة استثناء من هذا الأصل ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ .

وليس التأصيل الشرعي لقضية تعدد الزوجات ، هو هدفي ومقصدي ، فقد سُد هذا الثغر من قبل كثير من العلماء والكتّاب المتميزين في ساحة الدعوة ، إن الموضوع الذي أريد طرحه بين أيديكم ، والذي أثار اهتمامي من خلال اختلاطي بالمجتمع النسوي ، وخاصة الملتزمات منهن ، هو ما أشرت إليه من خلال عنوان هذا المقال المتواضع ، والذي طرحته على هيئة سؤال : (لماذا تخاف النساء من التعدد ؟) .

وقد طرحت هذا السؤال ، لاستطلاع الرأي بين النساء الملتزمات ، وخاصة من أصبحت زوجة ثانية أو ثالثة ، وكذلك مع الزوجة الأولى كونها محل اهتمام هذا المقال – فوجدت أن كل زوجة أولى مسلّمة بالحكم الشرعي ، وبحق الزوج في التعدد – ولكنها أجابت عن سؤالنا بهذا السؤال : « هل التعددُ الآن لأن الأصل في الزواج التعدد ، أم التعدد إنهاء لصلاحية الزوجة الأولى ؟ » .

كما وجدت أن كل واحدة منهن ، ترى أن المجتمع ونظرته إلى الزوجة الأولى ، أنها السبب في زواج زوجها عليها ، بسبب تقصيرها في حقه ، وأنه ما تزوج عليها إلا لظهور أسباب أو عيوب في الزوجة الأولى ، دعته واضطرته إلى الاقتران بغيرها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن ما يثير قلق الزوجة الأولى هو تصورها أن الزوجة الجديدة ستحل محلها في قلب زوجها وسيتحول اهتمام الزوج إليها ، وتصبح الزوجة الأولى مهملة عتيقة في هامش المجتمع الذي كان يشير إليها بالبنان . ولأن الإسلام جاء مخاطباً العقول ، فإنه في نفس الوقت لم يهمل المشاعر والأحاسيس الكامنة في أغوار النفس البشرية ، وخاصة عند النساء ، وهذا من باب الرفق بالقوارير ، ومن باب الاستمتاع بالنساء بما فيهن من عوج ، فقد جعل الله لكل شيء قدرا .

وحتى نسد ثغراً ، ونرد على كل ناعق يدعي المطالبة بحق المرأة ، والذي يمكن أن يستغل هذه النقطة بالذات

لاستمالة النساء إليه ، ويجمع النساء اللاتي لديهن مشاعر الخوف من التعدد ، أو اللاتي تزوج أزواجهن عليهن ،لأن مثل هذه الشريحة من النساء جعلت نفسها رهينة لنظرات المجتمع يحركها كيف يشاء ، وأسيرة لظروف نفسية تجعلها تفضل الطلاق على أن تكون لها شريكة في زوجها – ولذلك أحببت أن أشارك في سد هذا الثغر من خلال هذا المقال ، موجّهةً الخطاب إلى كل من :

- الزوجة الأولى : باعتبارها أصل الموضوع الذي نتحدث عنه .

- الزوج الصالح : باعتباره قادراً على أن يبعث الرضا والاستسلام في روح زوجته من خلال إعانتها على تقبل الوضع الجديد ، وذلك من خلال مراعاة مشاعرها وأحاسيسها ، وعدم التقصير في حقوقها المادية والمعنوية . فأبدأ بالزوجة الأولى مخاطبةً إياها :

أختي العزيزة :

١ – عليك بتقبل الوضع الجديد بكل رضا ، والتكيّف معه باعتباره وضعاً طبيعياً ، ومراقبة الله في ذلك ، والاستسلام لهذا الأمر باعتباره أمراً شرعياً ، ما شرع إلا لأن فيه مصلحة العباد ، وأنت واحدة منهم .

٢– باستطاعتك إرغام المجتمع على احترامك ، فيصبح معك لا عليك ،إذا كان اعتزازك بأن هذا الأمر شرعه الله وكتبه عليك ، فيكون فيه المصلحة والسعادة .

٣– كتب الله أن تكوني زوجة ، وسعدت بذلك كثيراً، واعترفت أنها من أفضل النعم عليك ، فهلاّ رضيتِ بالتعدد ، اعترافاً منك وشكراً لمن أنعم عليك بالزواج .

٤– إن كل امرأة لو وقفت حجرة عثرة في وجه التعدد لكانت سبباً في بقاء شطر من نساء المجتمع عانسات من غير زواج ، باعتبار أن عدد النساء ضعف عدد الرجال ، وكنت ممن يساهم في تعطيل النسل البشري وشحة عدد المسلمين ، وهذا هو مراد أعداء الإسلام .

٥– أقنعي نفسك أنك لست المسؤولة عن زواج زوجك بالثانية ، ولا تعتبري ذلك تقصيراً منك في حقه .

٦– اعرفي أنك خديجة عصرك ، وأنك التي وقفت مع زوجها في بداية الأمر ، وكانت سبباً فيما وصل إليه من النعيم بعد الله ، حتى تمكن من التعدد الذي لن يضر بمكانتك عنده شيئاً .

٧– لا تذلي نفسك ، ولا تسمحي للمجتمع أن يتذمر منكِ وأن يستغل مشاعرك الطيبة ، وتحويلها إلى حرب شعواء على زوجك ، وعلى الزوجة الثانية ، التي لا ذنب لها إلا أنها تزوجت ، وأصبحت بقدر الله شريكة لك في زوجك .

٨– كوني واثقة من نفسك – ففاقد الشيء لا يعطيه – فلا تطالبي المجتمع بشيء أنت مقصرة فيه ، فمن المجتمع غير أنت ونحن ، فكيفما نظرتِ نظرنا ، وأنت مفروضة على المجتمع زوجة لا أولى ولا ثانيةَ ولا ... فهذا التمايز صنعته بنفسك .

١٤ نصيحة للزوج وللزوجة تعيد الأمر إلى نصابه

وأخاطب كل زوج يخاف الله ويلتزم شرعه قائلة :

١ – لا تكن عوناً للشيطان علينا ، بل كن عوناً لنا ، وضحِّ بالمستطاع ، حتى تسد ثغراً أنت أهلٌ لسده .

٢– وضّح للمجتمع من حولك وإلى كل من يوجه اللوم إلى الزوجة الأولى والثانية ، ويربط ذلك بالتعدد، ويجعل منهن سبباً في التعدد ، وأقنع نفسك وغيرك أن هذا الأمر شرع الله ولا يحتاج إلى مبررات تدعو إليه ، فالأصل في الزواج التعدد .

٣–اصبر على رد الفعل من زوجتك الأولى بحكم غيرة النساء ، ولا تأخذك العزة بالإثم ، إذا طالبتك بالطلاق ، أو ارتكبت معك بعض الأخطاء ، فاعذرها فإنها واقعة تحت أسر المجتمع يظهرها بصورة المظلومة أو العتيقة ، التي انتهت صلاحيتها ، التي لا مكان لها بعد الآن في المجتمع .

٤– اتق الله ، ولا تغير معاملتك لها ، ولا تجعلها تحسّ بميلك إلي زوجتك الجديدة ، بل وثّق الصلة بينهما ، وكن راعياً لهما بما استرعاك الله ، ولا تضيع حق إحداهما .

٥– لا تنشر ما يحدث في حياتك الشخصية مع زوجاتك ، لأن ذلك يساعدضعفاء النفوس على نشر الفتن بين زوجاتك ، وحدوث المشاكل ، وبذلك تكون قد تسببت في كراهية النساء للتعدد ، وجعلت المجتمع ينظر إلى التعدد بنظر المتخوف من مثل هذه العواقب .

٦– أفهمها أنك تزوجت ، لأن الأصل في الزواج التعدد ولا تأخذكَ لحظة غضب من الزوجة الأولى ، فتفهما أنك ما تزوجت إلا لعيب فيها ، أو أن صلاحيتها قد انتهت ، واتق الله في كل شيء .